تحقيق

كارول سلوم
carolsalloum11@gmail.com

الحياد في لبنان: مراحل متعدّدة تعثّر التطبيق مفتاحه بناء قدرات الدولة

اكثر من دولة في العالم تعتمد مبدأ الحياد كخيار استراتيجي يؤمن استقرارها السياسي، لا سيما ان هذا النظام يشير الى موقف الدولة التي تمتنع عن المشاركة في حرب بين دول أخرى، وتحافظ على عدم تحيزها تجاه الاطراف المتحاربة. اما في لبنان، فمر هذا المفهوم بمراحل متعددة لكنه تعثر في التنفيذ

للحياد دور في الاستقرار السياسي والاقتصادي للدول، وهو من المرتكزات الاساسية في بناء قدرات الدولة الساعية الى حماية نفسها من التدخلات الخارجية.

فما هو الحياد؟ واين لبنان منه؟ وكيف يطبق؟ اسئلة حملتها "الامن العام" الى النائب السابق المحامي غسان مخيبر والاستاذة في الجامعة اللبنانية الدكتورة منى فياض.

مخيبر: مفهوم الحياد في لبنان ملتبس

■ ما هو تفسيرك لمفهوم الحياد؟

□ مفهوم الحياد في لبنان يلفه التباس كبير، تعبر عنه المفردات الملتبسة والعديدة التي يشار اليها من الدولة واطراف سياسيين. في لبنان تعتمد عبارات النأي بالنفس وحتى الحياد الايجابي الناشط. هذه العبارات تبين مدى صعوبة تطبيق مبدأ الحياد في لبنان، لأنه اقتباس محلي سياسي لحالة من التخبط الداخلي في المواقف لدولة ضعيفة تسعى الى حماية نفسها في عالم يتزايد فيه التدخل العسكري في الشؤون السياسية اللبنانية الداخلية، بدءا من اسرائيل مرورا بسوريا وايران وغيرها من الدول الاقليمية والدولية والفصائل الفلسطينية، في دولة عانت ما عانته من حروب داخلية، وحروب من اجل الاخرين، وحروب الاخرين على الاراضي اللبنانية.

■ كيف يقرأ الحياد من الناحية القانونية؟

□ الحياد على انواع في القانون الدولي، فهو اما حياد دائم او حياد ظرفي. الحياد الدائم مثل الحياد المتبع في سويسرا او النمسا، او ظرفي مثل الذي يسعى لبنان الى تطبيقه، اي في حالات معينة يعلن لبنان حياده وفي حالات اخرى لا يعتبر محايدا. فاعلان بعبدا هو وثيقة تحدثت عن التحييد، فأعلنت مثلا تحييد لبنان عن سياسة المحاور والصراعات الاقليمية والدولية، لكن في الوقت نفسه تم الاعلان عن حرص البلد على مصلحته العليا، ما عدا واجب الالتزام بقرارات الشرعية الدولية والاجماع العربي والقضية الفلسطينية المحقة. يبدو ان هذه الوثيقة استثنت القضية الفلسطينية المحقة من واقع التحييد. سواء كان دائما او ظرفيا او في مرحلة معينة او في كل الأحيان، يمكن ان يكون الحياد قانونيا او واقعيا، ويمكن ان يكون سياسيا او عسكريا. كما قلنا، ان الامثلة على النظام الدائم للحياد هي سويسرا والنمسا. الحياد يمكن ان يكون نتيجة اعلان داخلي او ممارسة في السياسة، وهذا ما هو عليه في لبنان، لا سيما في ما يسمى إعلان بعبدا الذي صدر عام 2012، وهو اعلان داخلي لبناني انما جرى ابلاغه من الامم المتحدة. اما بالنسبة الى الحياد العسكري والسياسي، فقد قامت نظرية الحياد تاريخيا في اطار النزاعات المسلحة، والحياد يضع على عاتق الدولة المحايدة حقوقا وواجبات. واجبات الدولة المحايدة سواء كان حيادا دائما او ظرفيا وواقعيا او قانونيا، تقوم اولا على الامتناع عن الاعمال العسكرية والعدائية باستثناء الدفاعية منها. اما الموجب الثاني، فهو موجب عدم الانحياز، اي معاملة الاطراف المتنازعة بشكل متساو. اما الحقوق فمرتبطة بحماية الدولة، وعدم تعرض اقليمها لأي اعتداء او عدوان. الكلام عن تحييد لبنان ما لبث ان واجهته صعوبة ليست في النزاع اللبناني - الاسرائيلي واحتلال اسرائيل للبنان فحسب، انما في الحرب الداخلية والاقليمية في سوريا، فانخرط حزب الله وغيره في صراع داخلي في سوريا بخلاف اعلان تحييد لبنان.

النائب السابق المحامي غسان مخيبر.

> **وثيقة اعلان بعبدا تضمنت تحييد لبنان واستثنت القضية الفلسطينية**

■ ماذا عن يومنا هذا؟

□ الدفع الجديد في الكلام عن التحييد جاء من البطريرك الراعي عام 2020، حيث اطلق دعوته لتحييد لبنان او ما سماه الحياد الايجابي الناشط، وهو في اجزاء ثلاثة:

اولا، عدم تدخل لبنان في نزاعات الاخرين.

ثانيا، منع الاخرين من التدخل لتقويض امن لبنان واستقراره.

ثالثا، السعي الى ان يلعب لبنان دورا في اقامة السلام على ارضه والمنطقة، وبالتالي دوره الناشط مع الدفاع عن القضية الفلسطينية.

الكلام اليوم عن تحييد لبنان هو كلام من العبث لأن لبنان هو ضحية لحروب الآخرين على ارضه، بما فيه النقاش الكبير الذي حصل في الحرب التي قامت بين حزب الله ولبنان واسرائيل ما سمي حرب الاسناد، وهو شكل من اشكال خروج حزب الله عن موقف تحييد لبنان. حماية لبنان دفاعيا، وتعزيز قدرته في الدفاع عن سيادته وامنه واستقراره، لا يناقضان الحياد ابدا. انه حق بديهي لأي دولة في الدفاع عن نفسها وتعزيز قدراتها، كما يثار اليوم في مسألة السياسة الدفاعية والاستراتيجية الدفاعية للدولة اللبنانية، وحصرية استعمال السلاح من قبل الدولة اللبنانية. اعلان الحياد لا معنى له اذ لم يترافق مع سياسات فعالة لتنفيذه، بما فيه منع جماعات لبنانية وغير لبنانية من شن عمليات عسكرية من دون موافقة الدولة اللبنانية، على ان تتولى الدولة ادارة السياسة الخارجية للبنان وحصر قرار السلم والحرب في يدها، علما ان كل ذلك يذهب في الاتجاه الصحيح لبناء الدولة. لبنان اليوم في طور اعادة تكوين مؤسسات الدولة بما فيها قدراتها العسكرية، ولملمة جراح الحرب الاسرائيلي على لبنان وهذا العدوان الذي دمر كل شيء. الحياد لا يعني السلام ولا يعني الاعتراف بإسرائيل، بل يعني العودة الى اتفاقية الهدنة والشرعية الدولية التي تخرقها اسرائيل كل يوم.

فياض: الحياد لا يعني عدم الوقوف الى جانب الحق

■ ما هو الحياد وكيف يمكن تعريفه؟

□ الحياد بشكل عام يعني الا يكون البلد تابعا لأي محور. تاريخيا عندما قامت حروب في المنطقة العربية، ولبنان هو جزء من المنظومة العربية، اعتبر بلد مساندة وليس بلد مواجهة. الحياد لا يعني عدم الوقوف الى جانب الحق وعدم اتخاذ مواقف، بل يعني عدم الدخول في الصراعات والبقاء خارجها. هناك من يقول انه اذا وقفنا في الحياد، فهذا يعني اننا محايدون عن القضية الفلسطينية التي تعد قضية انسانية في الدرجة الاولى، لكن ذلك غير صحيح على الاطلاق لأن الحياد يعني محافظة البلد على استقراره وحياده.

■ اين تكمن النقاط الايجابية والسلبية للحياد؟

□ لا بد من ان نكون خارج صراعات اي محور، وهذا امر اساسي. نحن نعلم ان البطريرك الراعي تحدث عن حياد ايجابي، وهذا يعني عدم الدخول في اي محور، المحور الشرقي او المحور الغربي الذي يقوم صراع بينهما. هذا الموقف لا يعد ضعفا ويرتبط بأهمية المحافظة على سيادة بلدنا، لأن تدخلنا في هذه المحاور يجعل سيادتنا منتقصة. من ايجابيات الحياد انه يضمن الاستقرار الداخلي والنهوض الاقتصادي، وعندما لا يتم السماح لأي طرف خارجي بالتدخل ولأي طرف داخلي في اقامة تحالفات مع الخارج، فهذا يوفر بيئة امنية تجذب الاستثمارات. الحياد هو خيار استراتيجي لحماية الاقتصاد. من ايجابيات الحياد ايضا تجنب المزيد من الدمار، فنحن نرى كيف هو الوضع اليوم، وكيف هو وضع الجنوب حيث الناس بلا منازل. الم يحن الوقت حتى نتخذ موقفا حاسما، ونقول انه لا بد من انهاء جميع الاسباب التي تسمح باستمرار الدمار والوضع الذي نحن فيه؟

■ هل لبنان قادر على تطبيق مبدأ الحياد؟

□ اعتقد ان هذا الامر أصبح واجبا في هذه الايام، وبالتالي على لبنان ان يطبق الحياد لأن الشعب اللبناني لم يعد يحتمل. لقد وصل بفعل الدخول في الصراعات الاقليمية الى بلد منهار تفككت فيه الدولة. هذه الدولة التي تملك حدودا ومقومات وجود، لا تستطيع ◄

◄ ان تؤمن الحد الادنى من حقوق مواطنيها، علما ان افقر الدول تؤمن الكهرباء والطبابة لمواطنيها، بينما الاعتماد قائم في لبنان على القطاع الخاص والمجتمع الاهلي. آن الاوان ان تعود الدولة الى ممارسة دورها وواجباتها. كما ان الاطراف التابعة لمحاور معينة لم تعد قادرة على التحمل، لذا لا بد من ان يكون الانسان براغماتيا وان يفكر بمصلحته ومصلحة بلده. من الضروري العودة الى هويتنا التاريخية، والى الحياد، واتخاذه خيارا استراتيجيا. كذلك علينا ان نقبل بمساعدات الدول، فالولايات المتحدة الاميركية اعلنت انها الى جانبنا، لذا لا بد من اغتنام هذه الفرصة. المجتمع الدولي ينتظر ان ينتهي لبنان من اشتباكه في هذا الصراع، ويلجأ الى تطبيق الحياد كما كان وضعه عبر التاريخ.

الاستاذة في الجامعة اللبنانية الدكتورة منى فياض.

■ هناك أطراف تقبل بالحياد واخرى ترفضه، فلماذا هناك مقاربتان مختلفتان؟

□ الفئة التي ترفض الحياد لديها اسبابها، اولا لأنها مرتبطة بمنظومة اقليمية معينة وغير قادرة على الاستيعاب ان هذه المنظومة فقدت مقومات وجودها. اعتقد ان الذين لديهم ارتباط بوضع ما خارج لبنان لا يريدون الحياد، بل استكمال المسار الذي يسيرون فيه، فقسم منهم عقائدي وقسم آخر مستفيد. نعلم ان هناك عائلات كثيرة تعيش بفعل هذه المساعدات الخارجية، فاذا اعلنت الحياد وفك ارتباطها بالاطراف التي تدعمها ماليا، ستخلق مشكلة مع جمهورها وتصبح في مأزق. لكن هؤلاء باتوا مهددين حتى بقدرتهم على استجلاب المساعدات. على هؤلاء ان يدركوا ان هناك فرصة إذا تم تفويتها، فعلى لبنان السلام. عندها ستقول الدول: "قلعوا شوككن بإيديكن"، وسنكون امام دورة من الانهيار والتفتت والهجرة، وامام اسئلة عما سيحل بهذا البلد في السنوات الخمسين المقبلة. يجب لفت النظر الى ان لا وجود لأي دولة من دون وجود اقتصادي. فهناك دول اليوم مثل المملكة العربية السعودية التي بنت نفسها واكتشفت اهمية التنمية الداخلية

> **الحياد يعني ان لا يكون البلد تابعا لأي محور**

والاقتصادية، وهناك نموذج الصين التي تأثرت به المملكة. فالصين انغلقت على ذاتها وساهمت في تقوية وضعها داخليا، حتى تحولت الآن الى القوة الثانية اقتصاديا في العالم، واصبح مركزها معتبرا بفعل الاقتصاد. اما روسيا التي كانت تعتبر قوة هائلة، فدخلت في حرب مع اوكرانيا اضعفتها واضعفت اقتصادها بشكل اساسي. لذلك، لا بد من اخذ العبر من هذه الدول، أي ان لا وجود للبنان ما لم يبن اقتصاده ودولته ومفهوم المواطنة فيه.

■ هل يكمن الحل في تطبيق هذا الحياد؟

□ اذا سرنا في الحياد، واستمررنا في الفساد والمحاصصات القائمة، حيث ان كل طائفة تتمثل بنسبة معينة، فذاك لن يكون كافيا لأن التورط في المشاكل الاقليمية قام على السلاح والفساد، كذلك الطائفية. يعني اذا كان هناك وزير تابع لطائفة معينة غير قادر على تلبية طلب معين من الحكومة، فسيقول ان طائفته باتت مهددة. المجتمع الدولي طالب بالحياد وقال التزموا به وباشروا بناء دولتكم، ومحاربة الفساد، وبناء ادارة كما يجب، واعادة هيكلة المصارف، ووقف السوق السوداء. هناك شروط متعددة، ولا بد من دعم الحكومة التي تضم وجوها اتت الى السلطة بطريقة مختلفة. كذلك لا بد من ان تقوم هذه الحكومة بما هو مطلوب منها، ولا بد من ان يقوم المواطن بدوره اسوة بالحكومة. اعتقد ان هناك بعض الاشخاص الذين يشعرون باليأس، لأنهم ينتظرون الخروج من الوضع الحالي بسرعة، لكن التغيير يحتاج الى وقت، واعادة بناء الدولة تستدعي الصبر من المواطنين، والى مساهمة كل فرد من الجمهورية اللبنانية. يفترض الا يفقد اللبناني الامل، كما يجب نبذ لغة العنف واللجوء الى الحوار والاقرار بمشاكلنا، انطلاقا من عدم تطبيق اتفاق الطائف كما يجب. كلنا نأمل في تطبيقه، واصلاح ما يجب إصلاحه، والتحاور بشفافية ووضوح.